شعرية النص في نزعة التعلُّق الوجداني عند جميل بثينة

"The Poetic Text of the Tendency to Sentimental Attachment of Jamil Buthaina

د. سعدة طفيف مبارك الدعدي

قسم الأدب .كلية اللغة العربية.جامعة أم القرى – بمكة المكرمة .السعودية

المرسل: saadaeldaadi2018@gmail.com الإرسال: 2020/10/01. القبول 2020/10/01 النشر 06 نوفمبر2020

E . ISSN : 506-2602X
ISSN : 2335 - 1969
الصفحة من : 252 إلى 272

الملخص :

تعالج هذه الدراسة نزعة التعلُّق الوجداني، وهي نزعة ذاتية بشكل واضح لدى جميل بن معمر نحو محبوبته بثينة. وجميل أحد شعراء الحب العذري، وقد كان المجتمع القبلي العذري عاملاً قويًا في توجيهه نفسيًا، ومن ثمَّ خلق نصوص لها سماتها الشعرية وأبعادها النفسية، فكانت هذه الدراسة "شعرية النص في نزعة التعلُّق الوجداني عند جميل بثينة" ودارت حول أربعة محاور :سقوط كل رمز للأنوثة في عينيه– أمنية الموت معادل موضوعي للقاء السرمدي –حب التملك والأنانية سمة العاشق المتعلِّق– رفض الانتماء الواقعي للمكان والزمان.

الكلمات المفتاحية:

الشعرية. التعلق. النزعة الوجدانية . جميل بثينة.

Abstract

This study addresses the tendency to sentimental attachment; a subjective tendency that makes a person in a dire need to be with a special person forever.
This subjective tendency is well marked in the poetry of Jamil bin M'amar towards his beloved, Buthaina. Ibn M'amar, a famous poet of chaste (Udhri) love

The conclusion sums up the most important results of the study. It highlights the role of tendency to sentimental attachment in the emergence of a poet suffering from anxiety, lack of enthusiasm, depression, and loss of harmony with reality, searching for an alternative virtual world to attain self satisfaction. This was clearly reflected in the poet's language and his poetic texts.

Keywords: Poetic.Tendency. Sentimental.Attachment.Jamil Buthaina

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ؛

إن شعراء الحب العذري هم الأكثر بوحاً عن الذات المتهالكة عشقاً, وهم الأكثر اقتراناً

بمحبوباتهم وجداً وصبابة. وجميل بثينة أحد شعراء الحب العذري، تتفتق تجاربه الشعرية عن ترسبات اجتماعية، ونوازع ذاتية، أبرزها نزعة التعلق الوجداني.

والتعلق الوجداني هو نزوع ذاتي، يجعل الشخص في حاجة إلى طرف آخر، يكون معه في حال من الديمومة، يخصه بمشاعر استثنائية، وقد يغشاه حزن وسقم جسدي عند نأيه عنه. وقد بدت هذه الظاهرة بشكل جلي لدى جميل بثينة، وكان لها الأثر الأكبر في صنع شعره، وتشكيل شاعريته ، وصبغها بثيمات أدبية ، وسمات شعرية؛ لذا رأيت أن أخصص هذه الدراسة عن نزعة التعلق الوجداني لديه، وإظهار مدى انعكاساتها على شعرية نصوصه.

وقد دارت العديد من الدراسات السابقة، حول شعر جميل بثينة، وسأذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر: (جميل بثينة–الدكتور عباس محمود العقاد) و(جميل بثينة الشاعر العذري– د.مأمون بن محي الدين الجنان) و(في الحب والحب العذري د. صادق جلال العظم) و(الأبعاد النفسية في شعر الغزل العذري عند جميل بثينة ، د.محمد ياس خضر الدوري ، وصالح الجبوري ، م. م. إبراهيم **حسن**) و(دراسة مفهوم الحب في قصائد جميل ابن معمر ، وفقاً لرسالة مأدبة أفلاطون – ريحانة سردار، على كنجان خناري ، سيد إبراهيم ديباجي).

وهناك دراسات أخرى، ولكن على الرغم من كثرة الدراسات السابقة ، التي دارت حول جميل بثينة، إلا أنه لم تقع بين يدي دراسة تستقل بتلك النزعة النفسية، وتتناولها بالمعالجة والتحليل فكانت هذه الدراسة بعنوان " شعرية النص في نزعة التعلُّق الوجداني عند جميل بثينة " ومصطلح الشعرية هنا نقصد به مباشرة مفهومها الذي يدور حول جماليات النص ومبادئه، إذ يعرف جورج مونان الشعرية أنها " مجموعة المبادئ الجمالية التي تقود الكاتب في عمله الأدبي". [1] أو كما يعرفها تزفيطان تودوروف بقوله" الشعرية هي خصائص الخطاب الأدبي المجرّدة التي تصنع تميز العمل الأدبي، أي أدبية النص، [2] ووفق هذا المفهوم سنقوم بالوقوف أيضا على خصائص النص الشعري عند جميل بثينة من حيث أدبيته ومن حيث نزعة التعلق الوجداني في شعره من حيث خصائصها وأدبيتها.

وقد اخترت لهذه الدراسة المنهج التحليلي الوصفي ، واستعنت بأدوات المنهج النفسي في التحليل ؛ لأنه الأكثر ملاءمةً للظاهرة موضع الدراسة ، فنزعة التعلُّق الوجداني تستند على الانفعالات الداخلية ، والعواطف النفسية ، ولعل هذا ما يناسبه منهج التحليل النفسي للأدب الذي يقوم على تفسير الفن تفسيراً استبطانياً من خلال التعامل مع التأمل الذاتي من حيث كونه يمثل حدثاً ما لرغبة مكبوتة لا تتحرك إلاّ بفعل تهيج الانفعال وإثارة المشاعر، فينعكس ذلك على أعمال الفنان

[3]. وتتكون الدراسة من مقدمة، وتمهيد بعنوان : (هوية جميل بين النشأة العذرية ونزعة التعلّـق الوجداني).

أتبعه بأربعة محاور:

أولاً – سقوط كل رمز للأنوثة في عينيه.

ثانياً – أمنية الموت معادل موضوعي للقاء السرمدي.

ثالثاً – حب التملك والأنانية سمة العاشق المتعلّق.

رابعاً – رفض الانتماء الواقعي للمكان والزمان.

ثم الخاتمة وتتضمن أهم النتائج. يليها فهرسان أحدهما للمراجع والمصادر والآخر للموضوعات.

والحمد لله أولاً وآخراً .

التمهيد : هوية جميل بين النشأة العذرية ونزعة التعلُّق الوجداني

هو جميل بن عبدالله بن معمر بن صُباح , من بني عذرة أحد عشاق العرب المشهورين , صاحب بثينة, وهما جميعا من بني عذرة[4]. والجمال والعشق كثير في بني عذرة[5].

نشأ في قومه بني ربيعة بوادي القرى, بين المدينة ومكة , فتعلّق ببثينة بنت يحي بن ثعلب من قومه, منذ كان صغيراً , فلما انتشر أمره خطبها, فردّ عنها؛ لأن العرب كانت تستهجن أن تزوج من جرى بينهما عشق, وقد قيل في خبر تعارفهما, إن أول ما كان بينهما سباب استملحه جميل من بثينة , فقد أقبل يوماً بإبله حتى أوردها وادياً يقال له بغيض, وأرسل إبله مصعدة , وأهل بثينة بذنب الوادي , فأقبلت بثينة وجارة لها وارتين الماء , فمرتا على فصال له بروك, فعرّمتهن بثينة (نفرتهن) وهي إذ ذاك جويرية صغيرة , فسبّها جميل , فافترت عليه , فملح سبابها ,وقال :

وأولُ ما قادَ المـــــودةَ بيـــننا بـــــــــوادي بغيض بابثينَ سبابُ

وقلنا لها قـــــولاً فجاءتْ بمثلِه لكلّ كـــــلامٍ يا بثينَ جـــــــوابُ[6]

ومن هنا تعلّق قلب جميل ببثينة , وهام بها عشقاً وصبابة, وكان ينسب بها كثيراً , بل أوقف أغلب شعره عليها. وقد شكى أهل بثينة إلى السلطان , فطلبه طلباً شديداً, فهرب إلى اليمن , فأقام بها مدة, ولم يزل باليمن حتى عزل ذلك الوالي عنهم, وانتجع أهل بثينة ناحية الشام , فرحل إليهم[7]. ثم قدم جميل بن معمر مصر على عبد العزيز بن مروان ممتدحاً له, فأذن له, وسمع مدائحه, وأحسن جائزته وسأله عن حبه لبثينة فذكر وجداً كثيراً, فوعده في أمرها, وأمره بالمقام, وأمر له بمنزل وما يصلحه, فما أقام إلاّ قليلا حتى مات هناك سنة اثنين وثمانين[8].

ولعل الرواية التي رواها سهل بن سعد الساعدي عن جميل وهو في آخر أيامه من الدنيا , تبيّن عفة جميل في حب بثينة, حيث قال سهل: لقيني رجل من أصحابي, فقال: هل لك في جميل فإنه يعتل ويخيل إليّ إن الموت يكرثه, فقال : ما تقول في رجل لم يزنِ قط , ولم يشرب خمراً , ولم يقتل نفساً حراماً قط, يشهد أن لا إله إلاّ الله, قلت والله ما سلمت وأنت منذ عشرين سنة تنسب ببثينة , قال : إنّي لفي آخر يوم من أيام الدنيا , وأول يوم من أيام الآخرة, فلا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم إن كنت وضعت يدي عليها لريبة قط , فما قمنا حتى مات[9].

هكذا عاش جميل هائماً بحب بثينة , متعلقاً بها , جاعلاً أغلب شعره في الحديث عنها , وقد تعلم الشعر منذ كان صغيراً , قيل له : لو قرأت القرآن كان أعودُ عليك من الشعر فقال:هذا أنس بن مالك رضي الله عنه,أخبرني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال :إن من الشعر لحكمة .[10].

وعرف جميل بشاعريته ورقة عواطفه وصدقها , فقد كان شاعراً فصيحاً منطقاً صادق الصبابة عفيفاً , متنزهاً عن الرذائل , عارفاً بالنسيب[11]. كما كان له مكانة شعرية بارزة في زمانه , ويشهد له الشعراء المعاصرون بذلك , يقول العقاد : ويمكن الاتفاق على أن جميلاً كان ملحوظ المكانة بين شعراء زمانه وكان معترفاً له بالإجادة والأستاذية إلى بعد زمانه .[12].

والجدير بالذكر أن لنشأة جميل في مجتمع قبلي عذري، تأثير في تكوين شخصيته وتوجيه شعره وشاعريته, فمن المعروف أن هناك وشائج متينة تربط نوازع المبدع وانفعالاته الداخلية بما يحيط به من مؤثرات خارجية, تفضي إلى خلق نص أدبي أصيل له سمته وسماته الخاصة , فنشأة جميل في مجتمع قبلي عذري جعله يعيش في حال من عدم التوازن الشعوري , حيث كان يقع بين سندان العرف القبلي والديني , ومطرقة الوجد والصبابة , فأسفر عن ظهور هويته العذرية بتباين مشاعرها , وتناقضات عواطفها ما بين الأمل والألم , والنشوة والانطفاء، والسكون والثورة , كل ذلك أسهم بشكل جلي في بلورة الذات الشاعرة التي تعاني من الحرمان فقد ألهب الحرمان العاطفة في شعر العذريين , وأذكى أوارها ؛ لذا نراهم يصفون بخل المحب, وتعذر مناله في لوعة ويأس [13]. والحرمان من الحبيبة وما يصاحبه من بخل وتمنع ليس مما ينفر منه العاشق المحب بل على العكس من ذلك , يقول جميل[14] :

ولستُ على بذل الصفاء هويتها ولـــكن سبتْني بالدلال وبالبخل

ويقول أيضا [15]:

ويقلـــن إنـــك يـــابثين بـــخيلـــة نفسي فداؤك من ضنينٍ باخلِ

فصفة البخل والتمنع والحرمان من الحبيبة , مما يقوي حبال وده , ويضرم فتيل الحب في فؤاده , وتكاد تكون الحالة مرضية لكي يرضي العاشق بمثل هذا النصيب من الحرمان , ولعل

الحب لا يكون صادقاً عنيفاً ما لم يصبح داءً في قلب العاشقين،[16] .فالشاعر العذري لا يضجر من آلامه, ولا يهرب من آهاته, بل تصبح جزءً من شخصيته التي شفها السقم, وجميل في ذلك كغيره من شعراء الحب العذري فهم ٠ لا يطلبون الفكاك من ألم العشق على الإطلاق, و إنما يعشقون الألم نفسه ويبغونه لذاته كجزء جوهري من تجربتهم , وتتضح هذه الحقيقة في الأدب الغربي الرومانسي وليس في التراث العربي فحسب .[17].

ونرى العاشق العذري يكتفي بمحبوبة واحده يتعشقها , ويستميت من أجلها , وربما لا تستهويه بقدر ما يستهويه عشقه لها , فهو لا يسعى إلى اللقاء إلاَّ من أجل أن يكون الفراق نهاية حتمية حتى تبقى جذوة الحب مستعرة , يقول جميل في إيماءة إلى ذلك[18]:

يموتُ الهوى مني إذا ما لقيتُها ويحيا إذا فــارقتُها فيعـــــودُ

والعفة والنقاء أحد مؤشرات النزعة العذرية , وهي نزعة نسجت خيوطها الأعراف القبلية بالتعاضد مع السلطة الدينية , فالشاعر العذري يجنح إلى الفضيلة والمثالية , ويترفع عن الوقوع في وحل الماديات والتصوير الجسدي , ويتسامى إلى عالم روحي رفيع , يقول جميل [19]:

أقلِّب طرفي في السماء لعله يوافقُ طرفي طرفكم حين ينظرُ

فالنزعة العذرية تستلهم المثالية , وتتوخى الحذر من سطوة الهوى , وهي في طلب دائم للعفة ؛ لذا فلا غرو أن "تظهر في ديوان جميل مقتطفات معرقة في الأفلاطونية كأن فيها توق إلى الجمال المطلق الذي لا يبلغ غايته في هذا العالم المادي, فالموضوع النهائي للأفلاطونية مجرد عن المخلوقات لا ينتهي عند كائن من الكائنات البشرية , فجميل لا يهدف إلى بثينة, أو الوصول إليها, فهو تجرد من حب الجسد الفاني , ونذر نفسه لما لا يدرك إلاَّ في عالم آخر هو أكبر الظن عالم المثل لدى أفلاطون"[20].

ولعل هذه المكّونات الاجتماعية والذاتية, أفضت إلى تشكيل هوية عذرية خاصة, لها سماتها الشعرية وثيماتها النفسية, والتي أبرزها نزعة التعلق الوجداني نحو الحبيبة, ويمكن أن نتلمس ذلك عند جميل كما سيأتي في المحاور التالية.

أولاً : سقوط كل رمز للأنوثة في عينيه

تظهر نزعة التعلُّق الوجداني لدى جميل بشكل جارف , وهو لا يزال يؤكد ذلك في كل موقف وفي كل حين، وليس أدل على ظهور هذه النزعة عنده من قسمه في اكتفائه ببثيناه دون غيرها , يقول [21]:

حلفتُ لكيما تعلـــميني صـــادقاً وللصدقُ خيرٌ فـــي الأمورِ وأنجحُ
لَتكليم يــومٍ من بثينة واحـــــدٍ ألذُّ من الــدنيا لــديَّ وأصلـــــحُ

من الدهر لو أخلو بكُنَّ وإنـــــما أعـــالج قلباً طامـــــحاً حيث يطمحُ

جاء في خبر هذه الأبيات أنه - استعدى أهل بثينة على جميل, مروان بن هشام الحضرمي فتوعده , فاستخفى عند سيّد من قومه, فزيّن سبع بنات له رجاء أن يعلق واحدة منهن, فيزوجه إياها فكنّ يرفعن الخباء إذا أقبل جميل, وفطن هو لذلك, فقال هذا الشعر ,فسمعه الشيخ, فقال لبناته: أرخين الخباء لا يفلح والله هذا أبداً[22].

ولا شك أن مثل هذه القصة, تؤكد ما ذهبتُ إليه من نزعة التعلق الوجداني ببثينة , وإيقاف مشاعره عليها, فكانت تلك الأبيات التي أسفرت عن معاني الوجد الصريح بها، وتوافرت لها ركائز الشعرية بصورة جلية, وذلك من حيث اكتناز المضامين بإيحاءات الاكتفاء بالمحبوبة والتعلُّق بها, ولعل ما يفسر هذا , ظهور الذات الشاعرة في حالٍ من فقدان شعور البهجة والرضا الدنيوي , فجميل يقتصر طموحه على وجود كينونة الحبيبة دون سواها, ويكمن علاج قلبه في تحقيق اللقاء , وتجاذب أطراف الأحاديث مع من يحب -لتكليم يوم من بثينة واحد, ألذُّ من الدنيا - جملة مؤكدة بلام التوكيد بعد قوله "حلفت" وهذا يكشف عن توق الارتباط بها؛ لأنها رمز لمعاني اللذة المفقودة, وليس هذا فحسب, بل أن التعلُّق ببثينة يسلبه الإحساس بكينونة الأخريات , وعندها تسقط في عينه كل رمز للأنوثة , إذ يجعلها في مركز القوة الجاذبة , وغيرها في حيّز التلاشي واللاشيء.

ويفصح جميل عن هذا الشعور مرة أخرى مؤكداً موقفه من كل أنثى , فيقول [23]:

ويحسبُ نسوانٌ من الجهل أنّني إذا جـئتُ إيَّاهـــــــــن كنتُ أريـــدُ
فأقسـمُ طـــــرفي بينهنّ فيستوي وفـــــي الصـــــــدر بونٌ بينهنَّ بعيدُ

تعلُّق سافر يؤكده جميل نحو بثيناه, وهو تعلُّق يخيّبُ ظن كل أنثى تحاول لفت انتباهه عبثاً, وجذب أنظاره جهلاً , فكل محاولة منهن فاشلة , وكل مقارنة بينهن سترجح كفتها عنده , وما يؤكد هذه النزعة الوجدانية قولهوفي الصدر بون بينهنّ بعيدُ - بما فيها من إيحاءات الاكتفاء بها , بل وتفوقها في عينه على كل أنثى.

وهذا التعلُّق ببثينة وتفضيلها على من سواها , يحثه على استرفاد الموروث الديني في أفضلية ليلة القدر, يقول[24] :

هـــي البدر حسنًا والنساءُ كواكبٌ وشتّان ما بين الكـــواكب والـــبدر
لقد فضلتْ حسناً على الناس مثلما عـــــلى ألف شهر فضلتْ ليلة القدر

فجميل يحرص على إثبات فكرة التعلُّق الوجداني ببثيناه, ويؤكد فرادتها عنده, ويوفر لشعره أدوات الفن ؛ للدلالة على هذا النزوع الذاتي, فيجعلها تفضل كـــــل النساء, كأفضلية ليلة القدر على سائر الليالي, ويكرر هذا الشعور في شدة الارتباط بها, مقابل شعور اللامبالاة بغيرها , يقول موجهاً

الخطاب لها[25] :

فــلا تحسَبنَّ النأي أســلي مــودتي ولا أن عيــني ردَّها عــنك عاطفُ
وكم من بديل قد وجدْتُ وطــــرفةٍ فتأبى عـــــليّ نفــسي تلك الــطرائفُ

فلا النأي يسليه عن مودتها , ولا عينه تنثني عن مناجاة طيفها ,ونفسه تمج كل بدائل الهوى , وتتهاوى عندها رونق المستجدات والطرائف.

ويكرر الفكرة ذاتها لبلورة نزعة التعلُّق الوجداني, فلا أنس إلاّ أنس حديثها , ولا انجذاب إلا لطرافة كلامها, يقول[26]:

وما استطرفتْ نفسي حديثاً لخلةٍ أُسَرُّبه إلاّ حــديثُك أطرَفُ

بل أن العتاب لا يحلو إلاّ لها , ولا يستعذبه إلاّ بها ,أما عتاب غيرها فيزهد فيه غير مبالٍ أو مكترث , يقول[27]:

أعاتبُ مـــن يحلـــو لديَّ عتابهُ وأتـــرك مـــن لا أشتهي وأجانبُهْ

ويتغنى بذلك بين طيات أشعاره , باذلاً روحه من أجلها يقول [28]:

ولـــو ســألتْ منّي حياتي بــذلتها وجُدْتُ بها إن كــان ذلك مـــن أمري
مضى لي زمـــان لـــو أخيّرُ بينه وبيــن حــياتي خالــداً آخــر الـــدهرِ
لــقلــتُ : ذرونــي ســاعةً وبثينةً على غفلة الواشين ثم اقطعوا عمري

والأبيات على ما فيها من المبالغة, إلا أنها تجرد نزعة التعلُّق الوجداني نحو الآخر, وتكشف عما يجنه الشاعر من شعور جارف في التمسك بالمحبوبة دون سواها, فهي ملهمته ومحرك شاعريته، يستعصي القريض على لسانه إلاّ في ذكرها, ولا يجري سلساً ثراً ثرياً إلاّ في مناجاتها؛ لذلك يقصر نظمه في الحديث عنها , يقول [29]:

إذا ما نظمتُ الشعرَ في غير ذكرها أَبَى وأبيها أن يــطاوعني شـــعري

ولا يزال يؤكد هذا التعلُّق ببثينة , فيذكر مؤشراً آخر من مؤشرات البذل والعطاء , مثبتاً شعور الانجراف نحوها ببذل المال , فعند غريزة حب المال , تتكشف حقائق الرجال , يقول [30]:

بثينَ سليني بعضَ مالي فإنما يُبيِّنُ عــند الــمالِ كُّ بخيلِ

ويمعن جميل في الكشف عن هذا الشعور الوجداني , فيقول[31]:

بثـــينَ أيًّا مـــا أردتِ فــافــعلي إنّـــي لآتي مـــا أشأتِ معـــتلي

فالبيت الشعري يسفر عن مستوى واضح من مستويات التعلُّق الوجداني لدى جميل , وذلك فيما يظهره من استعذاب الذوبان في الحبيبة , وإلغاء مشيئته أمام مشيئتها , مظهراً الضعف والانقياد لها , والاستكانة أمام سطوة هواها.

ولنستمع إلى الحوار الذي دار بين جميل وبين أبيه الذي يوضح مدى تعلقه بها , عندما طلب منه أبوه الكف عن بثينة , حيث قال له: يا بني حتى متى أنت عمهٌ في ضلالك , لا تأنف من أن تتعلّق بذات بعل... إن هذا لذل وضيم ما أعرف أخيب منه , ولا أضيع عمراً منك , فأنشدك الله إلاّ كففت , وتأملت أمرك , فإنك تعلم إن ما قلته حق , ولو كان إليها سبيل لبذلت ما أملكه فيها , لكن هذا أمر قد فات واستبد به من قدر له , وفي النساء عوض , فقال له جميل : الرأي ما رأيت , والقول كما قلت , ولكن هل رأيت قبلي أحداً قدر أن يدفع عن قلبه هواه , أو ملك أن يسلي نفسه, أو استطاع أن يدفع ما قضى عليه ! والله لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبي وأزيل شخصها من عيني لفعلت, ولكن لا سبيل إلى ذلك , إنما هو بلاء بليت به لحين قد أتيح لي.. وقام وهو يبكي , فبكى أبوه ومن حضر جزعاً لما رأوه منه[32].

كما لامه ابن عم له في استبداد حب بثينة على قلبه, حيث قال له : إنك لعاجز في استكانتك لهذه المرأة, وتركك الاستبدال بها مع كثرة النساء ووجود من هي أجمل منها , وإنك منها بين فجور أرفعك عنه , أو ذل لا أحبه لك , أو كمد يؤذيك إلى التلف... فبكى جميل وقال: يا أخي لو ملكت اختياري لكان ما قلت صواباً , ولكني لا أملك الاختيار , وأنا كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً [33].

إن في مثل هذه الحوارات التي دارت بين جميل وبعض أهله، ما يدل على نزوع التعلق الوجداني , وجموح الهوى في قلبه , ونراه يتغنى بذلك ويستعذبه , يقول[34]:

فمُريني أُطعْكِ في كـــــل أمرٍ أنت والله أوجَهُ الـــــناس عندي!

فهو يؤكد إلغاء ذاته أمام ذاتها , مقدماً لها كل معاني الانقياد , ليس جبراً ولا قسراً , بل حباً وكرامة , فهي أوجه الناس عنده , ولعل الجملة الشعرية -مريني أطعك في كل أمر -جاءت كاشفة عن ذلك النزوع الوجداني , فطاعته لها مطلقة لا استثناءات فيها.

وقد يدل ذلك الميل النفسي والترف الذاتي على وجود فجوات عاطفية وثلوم داخلية , أنبتها المجتمع القبلي في الذات الشاعرة الباحثة عن شعور الحب , وتعزيز الدعم النفسي , ولا عجب في أن يظهر جميل بهذا النزوع الذاتي , فهو الشاعر العذري الذي يلغي ذاته ويندفع نحو الحبيبة -فمن آيات ضعف الشاعر العذري ذلك العجز وضعف الثقة بالنفس , وتعليق الثقة بمشيئة محبوبته, فهي إن أقبلت عليه رضي عن نفسه واستراح إلى هذا الرضا وإن أعرضت عنه ظل في حيرة وابتئاس لا يزولان إلاّ أن يزيلهما إقبال جديد , وأما هو فليس بقادر على أن يستقل برأيه , أو يستمد الثقة من قرارة نفسه -[35].

* * *

ثانياً : أمنية الموت معادل موضوعي للقاء السرمدي

تلح نزعة التعلّق الوجداني عند جميل , وتسهم في خلق نصوص شعرية , تفصح عن ذلك , وتجلي ما يجنه فؤاده من حب أزلي لبثينة , فهو حب تليد تجدده أيادي الزمن, وتضرم أواره ,يقول[36] :

عَلِقْتُ الـــهوى منـــــها وليداً فلم يزل إلى الـــــيوم يَنمي حبُّها ويــــــزيدُ
فلو تُكشَفُ الأحــشاء صُــودفَ تحتَها لبثنـــة حـــبٌ طــارفٌ وتــليدُ

فهو يصرح بتعلقه بها منذ كان وليدا ,و يؤكد شدة ارتباطه بها وحبها اللامتناهي في قلبه , يقول[37] :

تعلّقتُها والجســمُ مــنّي مُصحَّحٌ فما زالَ ينمي حـــــبُّ جُـــملٍ وأضعفُ[38]
إلى اليوم حتى ســــــلَّ جسمي و شفَّني وأنكرتُ من نفسي الذي كنت أعرفُ

ونلحظ المفارقة في تباين حالات الذات الشاعرة , فحال الصحة يغذيه أمل في القرب ,وحال السقم والاعتلال ينجم عن يأس من اللقاء , يقول مؤكداً ذلك[39]:

زَعَـــمَ الـــناسُ أن دائيَ طـــبيٌّ أنــتِ والله يــــا بثينـــــة طبيٌّ

فليس لآلامه خلاص , ولا لقروحه شفاء , إلاّ بقرب يروي صداه. فحبه لها طارف وتليد :[40]

وقـــد كان حبيّكم طـريفاً وتــالداً ومــــا الحــبُّ إلاّ طــارفٌ وتليدُ

وأفـــنــيـــتُ عمري بانتظاري وعدها وأبــليتُ فيها الدهرُ وهــو جديدُ

فجميل لا يتوانى عن الإشارة إلى استمرارية شعوره،وما الحبُّ إلاّ طارف وتليدُ - بل ويفنى العمر, ويبلي الدهر بانتظار تحقيق الوعود.

ويؤكد هذا التفاني والتهالك من أجل تحقيق المأمول , ما يرسله من أمنية يعرف أنها مستحيلة , فيقول[41]:

وددْتُ ولا تغنـــي الودادةُ أنـــها نــصيبي من الـــدنيا وأنّي نصيبها

ولعل الجملة الاعتراضية - لا تغني الودادة - تكشف عن شعرية النص , وتسفر عن شاعرية الذات التي تتقلب على صفيح ساخن من اليأس والعجز أمام تحقيق الأمنيات.

ويقول أيضاً في إثبات ذلك [42]:

رفــعتُ عن الدنيا المنى غيرَ وُدِّها فما أســألُ الدنيا ولا أستزيدهـــا

فهو بإدراكه الشعري يعرف ما للجمل الاعتراضية من فائدة في زيادة المعنى , وإجلاء خوافي المضامين , فجاءت جملة - غير ودِّها - تؤكد أمله الوحيد في الحصول على ودادها

والاستزادة من حبها , فيقصر أمانيه الدنيوية على أمنية واحدة , وعندها تسقط كل الأمنيات, وتتلاشى كل الحاجات.

وفي ظل الشعور الطاغي باستحالة اللقاء الدنيوي , تبرز فكرة الموت لدى جميل · وكأن الشاعر العذري على يقين بأن وصاله مع بثينة في هذه الدنيا مستحيل فجعل نظره على الدار الآخرة التي سينال منها وصالاً سرمدياً مع محبوبته[43]فنراه يطلق أمنية الموت , إن لم يتحقق المأمول, يقول[44]:

ألا ليتنا نحيا جميعاً و إن نمُتْ يُجاورُ في الموتى ضـــــــريحي ضريحُها
فما أنا في طول الحياة براغبٍ إذا قيل قــد سُوِّي عليـــــــها صفيحُها

فتظهر شعرية النص وسَورة العاطفة في سوْق عبارات ينبعث منها شعور التوحد والتعلُّق بها, فإما حياة تجمع بينهما, وإن استحالت كان فقدان الرغبة في طول الحياة, وتساوي الإحساس في البقاء والفناء, وعندها تكون أمنية الموت معادل موضوعي؛ لتحقيق الارتياح النفسي, والتخلص من سوداوية العجز والحرمان.

وتتكرر هذه الأمنية في مواضع أخرى ,يقول[45]:

يا ليتني ألقى المنية بغتــةً إن كــان يـــوم لقائكم لم يُقْـــدرِ
يهواكِ ما عشت الفؤادُ فإن أمتْ يــتبع صـــــداي صداكِ بين الأقْبُرِ

هذا الانجراف وسيطرة الشعور في التعلُّق حتى الممات يثبته جميل , ويبرع في توظيف لغته الشعرية للتعبير عن ذلك, فيستخدم الفعلين المضارعين يهوى ويتبع: اللذان يدلان على الاستمرارية وقد استخدم الفعل الأول للحياة الدنيا , والفعل الآخر للحياة بعد الموت, ويظهر جميل شوقه وعشقه الدنيوي بالفعل المضارع - يهواك · , وما الظرفية التي تدل على استمرارية الزمان, وتتابع هذه الاستمرارية بعد الموت أيضاً بفعل مضارع آخر · يتبع · , أي عاطفة الحب في نظر جميل, تظل دائماً متوهجة , لها في كل حيز في نفس المحب الداخلية جرس لا ينقطع , وحنين لا يهدأ [46].

وتبلغ أحزان جميل سويداء قلبه , وتسكن شرايينه , فتكون الاستعاذة بالله سبيله للخلاص بعد أن تكالبت عليه أشباح النوى , وجاشت في صدره زفرات الجوى , يقول [47]:

أعوذ بكَ اللّهم أن تشحطَ النوى ببثنة فـــــي أدنى حياتي ولا حشْري
وجـــاورٌ إذا ما متُّ بيني وبينها فـــــيا حبذا موتي إذا جاوَرتْ قبري

فجميل لا يدخر وسيلة لإثبات كلفه بمحبوبته , فتبدو نزعة التعلق الوجداني فيما اختزلته جملة · أعوذ بك اللهم · من دلالات دينية , تلح على فكرة الاقتران بالمحبوبة حياةً ومماتاً · ومعنى ذلك أن

الموت موضوع عذري , عرف الشعراء المحبون كيف يستغلونه كوسيلة فنية موفقة , وليس ضرورياً أن يموت الشاعر حقاً إذا مجّد الموت في نتاجه , فما أكثر الرومانسيين الذين تحدثوا عن موت العاشق وانتحاره في مؤلفاتهم دون أن يخضعوا أنفسهم لمصير أبطالهم المشئوم[48].

ويبلغ قمة الشعور بالتعلُّق إلى حد الهوس , فينجم عن ذلك نصوص شعرية تتسم باغتمام الذات , وقبوعها خلف أسوار الحاجة الملحة إلى المحبوبة يقول[49]:

أبى القلبُ إلاّ حبَّ بثنة لم يرُدْ سواها وحب القلب بثنة لا يجدي
تـــعلّق روحي روحها قبل خلقنا ومـــن بعد ما كنا نطافاً وفي المهدِ
فـــزاد كمـــا زدنا فأصبح نامياً وليس إذا متنا بمنتقضِ العهد
ولكـــــــنه باقٍ على كل حالةٍ وزائرُنا في ظـــلمةِ القبر واللحد

فالأبيات تتمخض عن ذات شاعرة في أعلى درجات الومق والبوح الشعري المقترن بالضجيج الداخلي والخواء العاطفي , وهذا الشعور كان عاملاً فاعلاً في بلورة النص الشعري , وتلوُّنه بأصباغ قاتمة , ومبالغة مفرطة فحبه – كما يصوره – حب سرمدي متجذِّر في الأعماق , يربو ويزيد حتى في القبر بعد الممات و . في هذه المبالغة مسحة من شطحات ابن الفارض وأضرابه , ولكن المبالغة هنا تتسلسل وتتدرج وتنمو على جذورها حتى تبلغ ذروتها ولا غرابة فيها ولا تناقض بين أعلاها وأدناها , فمن قال البيت الأول قال الأبيات التي تليه , كما يصعد النفس مطيلاً فيه حتى يستوفيه[50].

* * *

ثالثاً : حب التملك والأنانية سمة العاشق المتعلق

شخصية المتعلق شخصية تميل إلى حب التملك والأنانية, والتي تكون أحياناً غير صائبة, وفي غير مكانها, يقول جميل [51]:

وإنّي لأستحيي من الناس أن أُرى رديـــفاً لـــــوصلٍ أو علـــــيٍّ رديفُ
وأشـــربُ رنقاً مـــــنك بـــعد مـــودةٍ وأرضى بـــــوصل منك وهو ضعيف
وإنـــي للمـــاءِ المخالـــــطِ للقـــذى إذا كـــثرتْ وُرّادهُ لَعيـــوفُ

تتكشّف الذات الشاعرة عما تجنه من شعور نحو الطرف الآخر – بحق أو بغير حق – ولعل الجمل . إنّي لا استحيي .. أن أُرى رديفاً .. أو عليٍّ رديف .. وأشرب على رنق . وأرضى بوصل منك وهو ضعيف " جمل شعرية جاءت تعبر عن حال الغيرة والغليان وحب التملك , ثم الصورة الشعرية في البيت الأخير الذي عبّر به عن كراهة مشاركة الآخرين له , وما يتمناه جميل مستحيلاً، ولكنه على كل حال يرشد إلى ذات شاعرة تعاني من نواقص شخصية , وسلبيات نفسية , و تعيش

في مستوى من مستويات التعلُّق و التشظي والانشطار.

ولا شك أن نزعة التملك والتعلُّق تنبعث عن شعور الأنانية و. تتمثل الأنانية في شعر جميل أنها أنانية عاشق ولهان, يلتمس الراحة كيفما وجد الوسيلة؛ لأنه غيور على من يحب يحارب في جبهته, يريد أن يمتلكه ويحظى به لنفسه[52] ويفضي هذا الشعور إلى الرغبة في الاستحواذ على من يحب حياةً ومماتاً, ويفصح جميل عن ذلك حانقاً ناقماً[53]:

فلا أنْعمتْ بعدي ولا عشْتُ بعدها وداماتْ لنا الدنيا إلى ملتقي الحشرِ

فهي الرغبة في التملك , والنزعة الوجدانية في التعلُّق , إذ . يتمنى البقاء معها إلى ملتقى الحشر , ولكنه يأبى عليها الحياة بعده , ويسأل الله أن يموتا معاً إذا قضى الله أن يعجل بموته .[54].

وهي أمنية تتمخض عن أنانية سافرة . وما في هذه الأمنية من دليل على قلة الحب وكراهة المحبوب , بل فيها دلائل على فرط الحب والاستغراق فيه , ونحسب أن بثينة أرضاها هذا من دعائه , فوق ما كان يرضيها دعاء السلامة لها , والنعمة في هوى العشاق بعده ؛ لأنها تحس ببداهة الأنوثة أنه يُسر ببقائها ونعمتها بعد موته ؛ لأنه قليل الغيرة عليها في الحياة والممات[55] ولعل مثل هذا الشعور المضني في رغبة التملك والأنانية المفرطة , ما يجعل الشاعر العاشق في حال من الانفجار العاطفي, فيردف دعاءه السابق بدعاء آخر , يقول [56]:

عدمتُكَ من حب أمـــــا منك راحة وما بك عني من توانٍ ولا فتْرِ!!

فالبيت يسفر عن شعور الاختناق من أكبال الهوى , فكان الدعاء بالعدم كمتنفس من هذا التكبيل , والبحث عن الارتياح النفسي. ونراه ينادي متضجراً , وقد أحاطت به ظلال الحيرة , وتملكته مشاعر الأسى من طغيان العشق , فلا هو مرتوٍ من حوض حبه , ولا هو مشتفٍ من أسقام الكلف , يقول[57]:

ألا أيها الحب المبرِّح هـــل ترى أخـا كلف يغْري بحبٍ كما أُغري؟
أجدَّك لا تبلي وقـد بليَ الهوى ولا ينتـهي حُبي بـثيـنة للـزجرِ

ويأخذ في إطلاق تساؤلاته الممتزجة بالشجن والحيرة, يقول [58]:

أفي الناس أمثالي أحبَّ فحالهم كحالي أم أحـببتُ من بينهم وحدي؟
وهل هكذا يلقي المحبون مثل ما لقـــيتُ بها أم لـــــم يجدْ أحدٌ وجدي؟

فجميل بتساؤلاته يظهر في حال من الانغلاق النفسي أمام شعور بالتعلُّق التام , وانجراف نحو المحبوبة , إحساس طاغٍ ينوء بأحماله منفرداً , فيرسل نداءات التعجب والحيرة إلى أولئك الهانئين بملء الجفون نوماً , يقول[59]:

ألا أيـــها النُوَّامُ ويحكم هُبـــّوا أســـائكلم : هل يقتلُ الرجل الحبُّ؟!

ولا يزال جميل يزمجر بهذا الشعور الطاغي بالعجز أمام سطوة هوى الحبيبة.فيصرخ ناقماً بدعاء اقترن فيه حب جارف وأنانية مفرطة , فيقول[60]:

رمى الله في عـــيني بثينةَ بالقـــــذى وفـــي الغرِّ من أنيابها بالقوادحِ(61)

رمتْني بسهمٍ ريشهُ الكحلُ لم يَضرْ ظواهرَ جلدي فهو في القلب جارحي

وعلى الرغم ما في هذه العاطفة من ازدواجية وتناقض , إلاّ أنها تشي عن نزوع التعلّق الوجداني نحو الآخر, وإن ظهرت بشكل سلبي مفرط , وقد حاول العقاد تفسير هذا النزوع , فقال : هذا البيت أدل على عشق جميل من عشر قصائد غزلية تفيض بالرقة والثناء ؛ لأنه دليل على حب برّح به , وحار في الخلاص منه , وغلب على مشيئته فيه , وظن أن البلاء كله من جمال تلك العيون , وجمال تلك الثنايا , فلم يبقَ له من حيلة إلاّ أن يسأل الله إتلاف هذا الجمال عسى أن يطيق بعد ذلك سلوّه والراحة من بلواه , أما قبل ذلك فلا حيلة له ولا طاقة بالسلو والنسيان , هذا أعمق الحب وأصدق الغزل لرجل طيب في سَوْرة اليأس والحيرة...ولك أن تقول إنها أمنية رجل تغلب عليه الأنانية , ويلتمس الراحة بما استطاع من وسيلة , ولو كان فيها بلاء لمن يهواه , إلاّ إنك لا تنسى أنه تمنى تلك الأمنية ؛ لأنه أحب وضاق ذرعاً بحبه , وبلغ أقصى ما يبلغه العاشق من التعلّق بالمعشوق , والعجز عن الفكاك من إرهاقه, فهي– إن شئت – أنانية ذميمة ,لا ترضي عنها الأخلاق الكريمة , ولكنه حب قوي , وتعبير صادق عنه[62]. فنزعة التعلق الوجداني أسهمت بشكل سافر في صناعة نص شعري مشحون باختزالات قاتمة , وإيحاءات منقبضة , تجلى سلبية الذات وسوداوية الحال.

* * *

رابعاً : رفض الانتماء الواقعي للمكان والزمان

تنخرط الذات الشاعرة في التعبير عن نزعة التعلّق الوجداني ,والذوبان في الآخر بمستويات عديدة وأنماط متباينة , تظهر أحياناً في عدم قبول العالم الخارجي المنفصل عن المحبوبة , والرفض التام لجغرافية المكان الذي يخلو منها , والانتماء إلى كل أرض تنزل بها , وهذا ما أكده جميل في قوله [63]:

وأهوى الأرض عندي حيث حلّت بـــجدب في المـــــنازل أو خـــصيبِ

فلا يعنيه جدب الأرض أو خصوبتها , فمقياس هواه للأرض وارتباطه بمعالمها هو وجود بثينة بها , وحيث حلت يكون خصب الروح والنماء , ويلح على ذلك , فيقول [64]:

فـــإنْ يَكُ جثماني بأرضٍ سواكـــمُ فإن فؤادي عـــــندك الـــــدهر أجمعُ

ففؤاد جميل بكل سكناته ونبضاته لا يخفق إلاّ في محيطها , أمّا جسده فسيظل ذابلاً في أرض

خلت منها, وعندها تكون التبعية المكانية المطلقة لها , يقول [65]:

يــغورُ إذا غارتْ فؤادي وإن تكن بنجدٍ يهمُّ مني الفــؤادُ إلى نجد[66]

ولعل هذه التبعية المكانية تشف عن الذات الشاعرة التي تفتقد الانسجام الداخلي , ولا تتكيّف مع المحيط الخارجي المنفصل عن المحبوبة , فهي دائمة البحث عما يحقق لها دفء المشاعر الغائبة من خلال الوجود المكاني المنتمي للمحبوبة.

ويؤكد هذا الانجراف المكاني إلى الحبيبة , حنينه إلى الطلل وما فيه من آثار ومنازل عفت رسومها يقول[67]:

أمنْ منزلٍ قفر تعفّتْ رسومَه شمــالٌ تــغاديه ونكباء حرجف[68]
فأصبح قفراً بعدما كان آهلاً وجُمــلُ المنى تشتُو به وتُصيفُ
ظللتُ ومستنٌّ من الدمع هاملٌ من العين لمّا عجْتُ بالدار ينزفُ

صورة مكان قفر راهن عاثت به الريح , يقابلها بصورة مكان كان آهلاً , ينبض حيوية بوجود الحبيبة , فالمشهد الطللي بكل ما فيه يثير بكاءه ويستدر دموعه , فجاءت العبارات ، مستن من الدمع , هامل من العين , بالدار ينزف ، تبلور شعور التعلق المكاني , وتعبر عن انزياح الذات المبتهجة , وحلول الذات المتوجعة , ولعل مما يقوي هذا الخيط الشعوري , تكرار كلمة قفر ، مرتين بكل ما فيها من إيحاءات الجفاف التي تشبه جفاف روحه, يقابلها بكلمة ، آهل ، بكل ما فيها من إيحاءات الحياة والامتلاء.وعندها يكون الدعاء بالسقيا للمكان خير وسيلة لتأكيد الانتماء الروحي يقول[69]:

ســقى منزليْنا يــا بثين بحاجرٍ عــــلى الهجر منّا صيف وربيع
وخيماتك اللاتي بمنعرج اللوى لقــمريّها بالمشرقين سجيع

يوقظ الطلل كوامن النفس و ويحرك لواعج الفؤاد, فما المشهد الطللي إلاّ فضاء روحي لهذه الذات الظامئة التي أقضّها النأي وأجهدها الرحيل , ويستحضر جميل سجيع القمري , وما هو إلاّ رمز للذات الشاعرة في حنينها الشجي , ونشجيها الداخلي على أنقاض الأماكن المرتبطة بالحبيبة ولعل النسمات الرقيقة التي تهب من أرضها , هي خير ما ينعش الجسد الذاوي , ويلئم الفؤاد السقيم , يقول[70]:

أيا ريحُ الشّمال أمــــــا تريني أهيمُ وأنني بــادي النُّحول!
هبي لي نسمةً مــن ريح بثْن ومُنّي بــالهبوب على جميلِ!

تظهر شعرية النص في استخدام التقنيات الإنشائية من نداء واستفهام وأمر , بكل ما توحيه من دلالات التنبيه والاستغاثة , مازجاً بينها وبين الأسلوب التقريري المؤكد ، أنني بادي النحول ، ؛

ليقرر حقيقة الحال الكئيبة للذات الشاعرة , ثم الإفصاح عن اسمه واسم بثينة صراحة ؛ ليثبت – رغم البعد المكاني – حقيقة المشاعر المتبادلة, والأشواق المتراسلة , يقول لإجلاء ذلك الشعور مرة أخرى[71] :

إنّ الـــمنازل هيّجتْ أطرابي واستعـــجمت آياتها بجوابي[72]
وذكـــرتُ عصراً يا بثين شاقني وذكرتُ أيامي وشرخَ شبابي

يظهر النص الشعري نزعة التعلّق الوجداني بجلاء مستهلاً بجملة- إن المنازل - الاسمية المؤكدة و الدالة على الثبوت والاستمرارية, ويردفها بالفعل - هيّجت- ؛ ليتناسب مع دفقات المشاعر المضطربة بما يوحيه من دلالات الغليان والشجن و التوتر الداخلي , ثم يتبعها بـــجمع - أطرابي -, بكل ما تكتنزه الكلمة من شحنات حزن وخفة في المشاعر.

فجميل يستدعي المكان والزمان المرتبطين بالحبيبة محاولاً إحداث نوع من التوازن النفسي , للذات الشاعرة التي تلّمها الحب والحرمان , وأنهكها الحنين , فيرسل أمنياته ؛ لإلغاء المسافات وطي توقيعات الزمن ,فيقول[73]:

ألا ليت ريعان الشـــباب جـــديد ودهـــراً تـــــولّـــــى يا بثين يعـــود[74]
فنبـــــقى كما كنّا نكون وأنتمُ قـــريـــب وإذ مـــا تبذلين زهيدُ

يستهل نصه الشعري بالتمني كاشفاً عن فؤاد مثقل , ويأس قاتل , ثم تأتي جملة - كما كنا نكون - التي كرر فيها حرف الكاف - والكاف حرف انفجاري شديد[75] جاء موحياً بالانفجار الباطني والضجيج الداخلي احتجاجاً على الواقع المعيش.

ويستمر جميل في استدعاء الذكريات التي تثبت حقيقة تعلّقه الزماني والمكاني ببثيناه , فيقول[76] :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة بوادي القرى إني إذن لسعيدُ
وهل أهبطنْ أرضاً تظلُّ رياحُها لها بالثنـــايا القاويات وئـــيدُ

فالذات الشاعرة تفتح شرفة على عهد ولّى وانصرم , فيبرز الزمان والمكان عاملان فاعلان في صناعة النص الشعري, يستهله بتمني عودة الماضي بحثاً عن السعادة الفقيدة , مؤكداً ذلك بالجملة التقريرية - إنّي إذن لسعيد - , فالتمني يتفتّق عن فجوات عميقة بينه وبين الواقع المعيش , ولعل في تكرار الأسئلة الحزينة - هل أبيتن ليلة - هل أهبطن أرضاً - ما يكشف عن إمعان الشاعر في غربته المكانية والزمانية , ورفض العالم الخارجي المحيط به , فكان البحث عن زمن ضائع غائب يستعيض به عن ألم الواقع الراهن , يقول معبراً عن شغف نفسه وانتشاء روحه إذا طاف طيف الذكريات[77]:

لقد شُغفتُ نفسي بثينَ بذكركم كما شُغفَ المخمورُ يابثن بالخمر
ذكرتُ مقامي ليلةَ البان قابضاً على كف حوراء المدامع كالبدر
فكدتُ ولم أملك إليها بابةً أهيمُ وفاضَ الدمعُ منيَ على نحري

فهو يرتكز على الزمان والمكان, مستحضراً ليلة البان بأحداثها العذاب, باحثاً عن أُنس غائب فقيد. ويأتي النص الشعري في سياق تقريري دون أي تقنية إنشائية, ولكنه لا يخلو من الصور التقليدية, فهو كالمخمور في شغف القلب, وهي كالبدر في بدع الحب , ولعل في تكرار اسم الحبيبة والتلذذ بذكرها ما يستعيض به عن مرارة النأي والحرمان, ثم لا يخفى ما لكلمة ، شغف، المكررة مرتين, من إيحاء عميق في صدق عاطفته, إذ تنبئ عن ذات شاعرة، وهي في أعلى مراكز الحب وأقوى مراحله ،وليس هذا فحسب,بل يذكر من المعاني الصبابة والهيام؛ ليؤكد براعته في الحب وفنونه, ويثبت شدة تعلقه بالحبيبة الغائبة , وهو في حال من البكاء والتهاوي والذبول.

فجميل يبدو في فرار من الحاضر الراهن، محاولاً الخلاص من قيود الانغلاق والانقباض، متلمساً شيئًا من التنفيس في حديث الذكريات. واستحضاره هذه الذكريات ما هو إلاّ مؤشر قوي على نزعة التعلق الوجداني بالحبيبة، يؤكد شدة الارتباط بها زمانيًا ومكانيًا. ولعل من بين تلك القصائد التي تظهر هذا الشعور جليًا واضحًا القصيدة التي استهلها باستنكار بثينة من تقدمه في العمر، وظهور الشيب في رأسه، يقول[78]:

تــقول بثينة لما رأتْ فُنونًا من الشَّعرِ الأحْمَرِ
كَبرتَ،جميلُ وأودي الشبابُ فقلتُ : بُثينَ ألا قاصُري!
أتَنسَينَ أيامَنَا باللوَى وأيــامَنا بذوي الأجفَرِ؟
أمــا كنتِ أبصرتني مرةً ليالي نحنُ بذي جَهْوَرِ

ويتابع بث ذكرياته العذاب، مستحثًا بثينة أن تشاركه هذا الشعور المتشبث بأيام مضت وانصرمت كانت تجمع بينهما وهما في ترف الحياة ونعيم الشباب، يقول :

ليالي أنتم لنا جيرةٌ ألا تذكُرينَ ؟ بلَى، فاذكَري!
وإذا أنا أغيَدُ غضُّ الشبابِ أجُرُّ الرِّداءَ مــــعَ المئزَرِ
وإذا لمتني كجَناحِ الغُرابِ تُرجِّلُ بالمــسكِ والعَنْبَرِ
فغَيرَ ذلكَ ما تَعْلمينَ تَغيُّرَ ذا الزمَنِ المُنْكَرِ
وأنتِ كلُؤلُؤةِ المَرزُبانِ بماءِ شبابكِ لم تُعصِري
قــريبانِ مربَعُنا واحدٌ فكيفَ كَبرتُ ولم تكبري؟..

مشاعر متدفقة يصبها جميل في قصيدة محكمة السبك، تتواشج أبياتها في انسياب عاطفي مَرِن، مستخدمًا لغة سلسة دون ابتذال، محققًا الوحدة الموضوعية في نسيجها العام، بخيط شعوري

متواتر، ومتوسلاً بتقنية السرد البسيطة، ملحاً في إشراك الحبيبة لاستحضار الزمان والمكان وبعض من أحداث عذاب، ويتابع حتى يختم القطعة الشعرية بسؤال الحبيبة "فكيف كبرتُ ولم تكبري؟!" وهي خاتمة تؤكد وعي الذات الشاعرة في توفير عناصر شعرية لجسد القصيدة، تربط بين مطلعها ومقصدها وخاتمتها في حرفية شعرية تامة، وتبلور نزعة التعلُّق الوجداني في أجل حالاتها.

الخاتمة :

وتتضمن أهم النتائج :

تسهم نزعة التعلُّق الوجداني بما فيها من أبعاد نفسية واجتماعية ودينية في صناعة نص شعري , يفصح عن خواء الذات الشاعرة , وما تعانيه من قلق وانطفاء وذبول نفسي , كما ترشد إلى عدم التكيف مع المحيط الخارجي , والبحث عن عالم افتراضي بديل يحقق لها الانسجام والارتياح النفسي.

تظهر نزعة التعلُّق الوجداني عند جميل بشكل سافر يحدوها الأمل الدنيوي للقاء الحبيبة الغائبة , والأمل الأخروي للقاء أبدي علوي بعد الممات.

تتوشح نزعة التعلُّق الوجداني لديه بأردية العفة والنقاء ,مترفعة عن مواطن الزلل والريبة متسامية عن الانحدار إلى عالم الجسد المادي.

خلت النصوص الشعرية الكاشفة عن نزعة التعلُّق الوجداني من أصداء الراح وكئوسه ومجالسه ودنانه , كما اختفت منها إيحاءات الفرح والبهجة والوهج النفسي.

تسهم نزعة التعلق الوجداني في خلق نصوص شعرية، لها سمات جلية من حيث اصطباغها بألوان قاتمة، وجهت لغة الشاعر وشاعريته بما ينسجم مع أعماق الذات الشاعرة.

التوصية :

الدعوة إلى ربط الأدب بالتحليل النفسي وسبر أغوار الحالة الوجدانية للشاعر من خلال إخضاع الألفاظ والتراكيب للمعالجة النفسية الشعرية للكشف عما فيها من تجليات وجماليات .

العمل على الإفادة من التقنيات العلمية الحديثة والبرامج الحاسوبية لزيادة الرصيد المعرفي حول الظاهرة موضع الدراسة للتمكن من المعالجة العلمية التقنية الدقيقة للمستويات النفسية في النصوص الأدبية.

مختصر للبحث باللغة الإنجليزية:

Abstract

"The Poetic Text of the Tendency to Sentimental Attachment of Jamil Buthaina

"The Poetic Text of the Tendency to Sentimental Attachment of Jamil Buthaina"
This study addresses the tendency to sentimental attachment;
a subjective tendency that makes
a person in a dire need to be with a special person forever.
This subjective tendency is well marked in the poetry of Jamil bin M'amar towards his beloved, Buthaina. Ibn M'amar, a famous poet of chaste (Udhri) love, was strongly affected by the conservative tribal society in creating texts with poetic traits and psychological dimensions.

These are identified in four themes:
underestimating femininity, the wish for death in order to be with the beloved eternally , obsessive love and selfishness of a strongly attached lover, and the rejection of realistic belonging to space and time.

The conclusion sums up the most important results of the study.
It highlights the role of tendency to sentimental attachment in the emergence of a poet suffering from anxiety, lack of enthusiasm, depression, and loss of harmony with reality, searching for an alternative virtual world to attain self satisfaction. This was clearly reflected in the poet's language and his poetic texts.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم جزيني (د.س)، شرح ديوان جميل بثينة ، المكتبة الثقافية ، بيروت، لبنان ، (د. ت).
- ابن خلكان (1978)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر، بيروت، لبنان .
- ابن عساكر، (1995)، تاريخ مدينة دمشق ، دراسة وتحقيق : محب الدين أبي سعيد العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان .
- ابن قتيبة (د.س)، الشعر والشعراء، تحقيق : أحمد شاكر الكتبي ، دار المعارف ، القاهرة، مصر، (د.ط.ت).
- ابن منظور (1992)، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت، لبنان ، ط 1 .
- أبو الفرج الأصفهاني (1992)، الأغاني، تحقيق : يوسف الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط 2 .
- الآمدي (1991)، المؤتلف والمختلف، تصحيح وتعليق: د. ف. كرنكو ، دار الجيل، بيروت، لبنان، ، ط1 .
- تزفيطان تودوروف (1990)، الشعرية، ترجمة شكري المبخوت ورجاء سلامة، دار المعرفة الأدبية، الدار البيضاء، المغرب، ط2.
- جميل بثينة (1982)، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان.
- جورج موتان(د.س) ، مفهومات في بنية النص، ترجمة وائل بركات، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، دط، دت.
- داود الأنطاكي (د.س) ، تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق ، دراسة وتحقيق وتعليق : أيمن البحيري ، دار البيان العربي ، القاهرة .
- ريحانة سردار ، علي كنجان خناري ، سيد إبراهيم ديباجي (2019)، دراسة مفهوم الحب في قصائد جميل بن معمر وفقاً لرسالة مأدبة أفلاطون ، مجلة إضاءات نقدية ,(فصلية علمية) السنة 9 ، العدد 34 .
- ريكان إبراهيم (1989) نقد الشعر في المنظور النفسي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد العراق ، ط1 .
- صادق جلال العظم (2007)، في الحب والحب العذري ، دار المدى للثقافة النشر، دمشق. سوريا ، ط 8.
- عباس محمود العقاد (2012)، جميل بثينة ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة، مصر .
- عبد القادر فيدوح (2010)، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، دار الصفاء للطباعة والنشر ، عمان، الأردن ، ط 1.
- علاء عبد الدائم زويع (2016) ، البنية الصوتية للكاف ، دارسة مقارنة للغتين العربية والعبرية ، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية،

جامعة بابل , العراق, المجلد 6، العدد1.

- مأمون بن محي الدين الجنان (1993)، جميل بثينة الشاعر العذري , دار الكتب العلمية ,بيروت , لبنان .
- محمد ياس خضر الدوري , وصالح الجبوري, م.م إبراهيم حسن (د.س)، الأبعاد النفسية في شعر الغزل العذري عند جميل بثينة, ، منشورات كلية التربية، جامعة تكريت, العراق.

هوامش البحث:

(1)جورج مونان، (د. س)، مفهومات في بنية النص، ترجمة وائل بركات، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، دط، دت، ص 33

(2)تزفيطان تودوروف، (1990)، الشعرية، ترجمة شكري المبخوت ورجاء سلامة، دار المعرفة الأدبية، الدار البيضاء، المغرب، ط2،.ص 23.

(3) عبد القاد فيدوح (2010)، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي , عبد القادر فيدوح , دار الصفاء للطباعة والنشر , عمان , الأردن، ط 1, ص 81.

(4)انظر: ابن خلكان (1978)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان , ابن خلكان , تحقيق : إحسان عباس , دار صادر. بيروت ، لبنان, ج1 / 366. وكذلك، ابن قتيبة (د.س) الشعر والشعراء, تحقيق : أحمد شاكر الكتبي , دار المعارف , القاهرة، مصر، (د.ط ت) ج 1/ 434. وكذلك، الآمدي (1991)، المؤتلف والمختلف ، تصحيح وتعليق : د. ف. كرنكو , دار الجيل , بيروت ، لبنان, ط1 , ص9.

(5)داود الأنطاكي، (د.س) تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق , دراسة وتحقيق وتعليق : أيمن البحيري , دار البيان العربي , القاهرة , مصر، (د. ت. ط) ج1، ص111.

(6)انظر : أبو الفرج الأصفهاني (1992) الأغاني, تحقيق : يوسف الطويل , دار الكتب العلمية , بيروت، لبنان، ط 2 , 8 / 90، وكذلك، جميل بثينة (1982)، ديوان جميل بثينة , دار بيروت للطباعة والنشر , بيروت ، لبنان, 1402هـ 1982م , ص105.

(7)انظر : أبو الفرج الأفهاني، الأغاني : 8 / 090.

(8)ابن خلكان، وفيات الأعيان : 1 / 370.

(9) ابن خلكان، وفيات الأعيان : 1 / 370. و ابن قتيبة، الشعر والشعراء :1 / 440 , 441.

(10)ابن عساكر، (1995)، تاريخ مدينة دمشق , دراسة وتحقيق : محب الدين أبي سعيد العمروي , دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت , لبنان , 11/ 266.

(11)انظر : أبو الفرج الأفهاني، الأغاني : 8 /90 , وكذلك داود الأنطاكي، تزيين الأسواق : 1 /111.

(12)عباس محمود العقاد (2012) جميل بثينة, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة، مصر، 2012م. ص46.

(13)إبراهيم جريني (د.س) شرح ديوان جميل بثينة : إبراهيم جزيني , المكتبة الثقافية , بيروت ، لبنان، (د. ت) ص 94.

(14)جميل بثينة، الديوان 37.

(15)جميل بثينة، الديوان 55

(16)العقاد، جميل بثينة , 42.

(17)صادق جلال العظم (2007)، في الحب والحب العذري , صادق جلال العظم , دار المدى للثقافة النشر دمشق، سوريا ط8 ص 81.

(18)جميل بثينة، الديوان 17.

(19) نفسه: 28.

(20)محمد ياس خضر الدوري , وصالح الجبوري , إبراهيم حسن, (د.س) الأبعاد النفسية في شعر الغزل العذري عند جميل بثينة , منشورات كلية التربية، جامعة تكريت، العراق ص 136.

(21)جميل بثينة، الديوان 65.

(22)انظر المناسبة في أول الأبيات في الديوان :65.

(23)جميل بثينة، الديوان 16.

(24)نفسه: 23.

(25)نفسه : 75.
(26)نفسه : 32.
(27)نفسه : 99.
(28) جميل بثينة، الديوان 24.
(29) نفسه : 24.
(30)نفسه : 81.
(31)نفسه : 110.
(32)انظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني : 2 / 353
(33)نفسه :2 / 353.
(34)جميل بثينة، الديوان، 106.
(35)محمد ياس خضر الدوري وآخرون، الأبعاد النفسية في شعر الغزل العذري عند جميل بثينة : 132.
(36)جميل بثينة، الديوان، 18.
(37)نفسه 31.
(38)جُمْل : علم امرأة ، كنى به عن بثينة (انظر : هامش الديوان : 31).
(39)جميل بثينة، الديوان، 102.
(40)نفسه : 16.
(41)نفسه : 64.
(42)نفسه: 93.
(43)ريحانة سردار ، علي كنجان خناري ، سيد إبراهيم ديباجي ، (2019) دراسة مفهوم الحب في قصائد جميل بن معمر وفقاً لرسالة مأدبة أفلاطون ، مجلة إضاءات نقدية ،(فصلية علمية) السنة 9 ، العدد 34 . ص 145.
(44)جميل بثينة، الديوان، 67.
(45)نفسه: 25 , 26.
(46)مأمون بن محي الدين الجنان (1993) جميل بثينة الشاعر العذري ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ، ص 81.
(47) ديوان جميل بثينة : 22.
(48)ريكان إبراهيم (1989) نقد الشعر في المنظور النفسي ، دار الشئون الثقافية ، بغداد ، ط1 ، ص 43.
(49)جميل بثينة، الديوان: 20,19.
(50)العقاد، جميل بثينة ، ص 55.
(51)جميل بثينة، الديوان: 90.
(52) إبراهيم جريبي، شرح ديوان جميل بثينة : 23.
(53)نفسه : 24.
(54)العقاد، جميل بثينة ،: 42.
(55)نفسه: 43.
(56)جميل بثينة، الديوان : 22.
(57) نفسه : 23.
(58) نفسه : 21.
(59)نفسه : 62.
(60)نفسه : 68.

(61)قوادح : جمع قادح , وهو عفن او سواد أو آكال في الأسنان (انظر : ابن منظور (1991)، لسان العرب . صادر.بيروتط 1 (قدح).

(62)انظر : العقاد، جميل بثينة ,: 42.

(63) جميل بثينة، الديوان : 63.

(64)نفسه : 29.

(65) نفسه : 212.

(66)يغور : يأتي الغور من تهامة (انظر : هامش الديوان : 21)..

(67)جميل بثينة، الديوان : 31.

(68)النكباء حرجف : ريح باردة. (انظر , لسان العرب : حرجف)

(69) جميل بثينة، الديوان : 58.

(70)نفسه : 86.

(71)نفسه : 101.

(72)أطرابي ؛ جمع " طرب " والطرب : الفرح والحزن , وقيل : خفة تعتري عند شدة الفرح أو الحزن أو الهم (انظر : لسان العرب : طرب).

(73)جميل بثينة، الديوان : 15.

(74)ريّعان : كل شيء أوله وأفضله (انظر : لسان العرب : ريع).

(75)علاء عبد الدائم زويع (2016)، البنية الصوتية للكاف , دارسة مقارنة للغتين العربية والعبرية ,, مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، جامعة بابل، العراق، المجلد 6، العدد1.ص 115.

(76)جميل بثينة، الديوان: 16.

(77)نفسه : 23.

(78) نفسه: 59.